

سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَتَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصَّلَتْهُ الَّتِي تُؤْتِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾

سَأَلَ سَائِلٌ: دعا داع على نفسه وقومه .

ذِي الْمَعَارِجِ: ذي السموات مصاعد الملائكة.

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ: تصعد في تلك المعارج.

وَالرُّوحُ: جبريل عليه السلام.

فِي يَوْمٍ: هو يوم القيامة.

مِقْدَارُهُ: قي حق الكفار.

صَبْرًا جَمِيلًا: لا شكوى فيه لغيره.

السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ: كالمعدن المذاب أو دُرْدِيّ الزيت.

الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ: كالصوف المصبوغ ألوانا.

حَمِيمٌ: قريب مشفق لشدة الهول.

يُبَصِّرُونَهُمْ: يعرف الأعماء أعماءهم.

وَفَصِيلَتِهِ: عشيرته الأقربين المنفصل عنهم.

تَوَّوِيهِ: تضمه في النسب. أو عند الشدة.

إن مشاهد القيامة لا يمكن وصفها على نحوٍ حقيقي في عالمنا الراهن ، وإنما تناولها القرآن بالتقريب من خلال الإشارة أو التصوير أو التمثيل في مواضع منه شتى، لكيما يتمكن الإنسان من استشعارها على وجه الإجمال ، والقيامة إذا قامت فإنها ستكون رهيبة مروعة لدرجة أن المرء يذهل عندئذٍ عن أقاربه ومصالحه، تلك التي هو يعتبرها اليوم من الأهمية بحيث يهمل من أجلها أمر الحق ولا يكاد يلتقى إليه بالآ !!

﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُنزِلَتْ ﴾ ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴾ ﴿ تَدْعُوا مِّنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ ﴿ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ﴿ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ ﴿

إِنَّهَا لَأُنزِلَتْ: جهنم، أو الدركة الثانية منها.

نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى: قَاعَةٌ لِلأَطْرَافِ أَوْ جِلْدِ الرَّأْسِ.

فَأَوْعَى: أَمْسَكَ مَالَهُ فِي وَعَاءٍ بِخَلَا.

جَزُوعًا: كَثِيرِ الْجَزَعِ وَالْأَسَى.

مَنْوعًا: كَثِيرِ الْمَنْعِ وَالْإِمْسَاكِ.

وَالْمَحْرُومِ: مِنَ الْعَطَاءِ لَتَعْفَفَهُ عَنِ السُّؤَالِ.

مُشْفِقُونَ: خَائِفُونَ اسْتِعْظَامًا لِلَّهِ تَعَالَى.

الْعَادُونَ: الْمَجَاوِزُونَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

بينت هذه الآيات باختصار صفات كلا النوعين من البشر؛ حيث عرفت الذين سيُعتبرون أهلاً لدخول الجنة، إلى جانب وصف أولئك الذين سيصبح ما قدمت أيديهم من سوء الأعمال سبباً في دفعهم إلى نار جهنم يوم القيامة .

﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُمْ مَهْطِعِينَ ﴿٥٠﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٥١﴾ أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

مُهْطِعِينَ: مَسْرِعِينَ مَادِي أَعْنَاقِهِمْ إِلَيْكَ.

عِزِينَ: جَمَاعَاتٍ مَّتَفَرِّقِينَ.

مِمَّا يَعْلَمُونَ: مِنْ نَطْفٍ مَهِينَةٍ مَذْرُوعَةٍ.

إن الذين يقومون على غير الحق يرون في الدعوة الصريحة إلى الحق الخالق زوال سيادتهم واعتبارهم ، مما يجعلهم يسعون وراء إحباط دعوة كهذه واقتلاع جذورها

بكل ما يملكون من حول وطول ، وتصرفاتهم اللاعقلانية هذه تحذو بهم شيئاً فشيئاً إلى الجحيم، ولكنهم يحسبون - بناءً على آمالهم الزائفة - أنهم يواصلون رحلتهم السريعة نحو جنات النعيم !!

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿١٥﴾ فَذَرَهُمْ نَحْوَصُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ يَوْمَ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿١٧﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٨﴾

فَلَا أُقْسِمُ: أقسم و"لا" مزيدة.

بِمَسْبُوقِينَ: مغلوبين عاجزين.

فَذَرَهُمْ: فدعهم وخلهم غير مكترث بهم.

يَخْوَصُوا: ينغمسوا في باطلهم.

الْأَجْدَاثِ: من القبور.

سِرَاعًا: مسرعين إلى الداعي.

نُصُبٍ: أحجار عظموها في الجاهلية.

يُوفِضُونَ: يسرعون.

خَشِيعَةً أَبْصَارُهُمْ: ذليلة منكسرة لا يرفعونها.

تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ: تغشاهم مهانة شديدة.

إن تعدد مشارق الأرض ومغاربها من حين لآخر يرجع إلى خصوصية فذة من

خصائص الأرض، وهي ما يُعرف بالميل المحوري، والذي يتسبب في حدوث الفصول المختلفة على مدار السنة، ولولا ميل الكرة الأرضية هذا بالنسبة إلى الشمس، لكانت الأرض أقل فائدةً بكثيرٍ مما هي عليه الآن، فبفضل هذا الميل المحوري قد صارت الأرض لنا نحن البشر مصدر خيرات لا تحصى ومنافع لا توصف، والعالم الذي يشهد مثالاً لتحويل الأقل نفعاً إلى الأكثر نفعاً كما ذكرنا آنفاً، ليس من المستبعد أيضاً أن تحدث فيه وقائع أخرى مماثلة، وأما الذين لا يتعظون، رغم هذه الآيات الصارخة، فإنهم - ولا ريب - أناس يفتقرون إلى الجدية، وقلما يتعظ المفتقرون إلى الجدية أو يعتبرون، اللهم إلا إذا كانوا قد أرغموا على ذلك إرغاماً!